أمتي هل لك بين الأمم... منبر للسيف أو للقلم؟

وما الحسين للأمةِ إلاّ الضمير الحي، وقسطاس الحق، ومقياس العزم ومَعلمَ الصدقْ والإيمان والنبراس والمتراس..

إن للحسين مبدأٌ لا ينكسرُ مع الأمد ولا يستحيلُ إلى فند، أصله ثابتٌ وفرعهُ في السماء، غراسه العزة والإباء وثماره الرضوان والخلود.

لذلك ما كان الحسين (ع) ليخرج لهوا ولا أشِرا ولا بَطِرا ولا مُفسِدا ولا ظَالما ولا حباً في الدنيا وزينتها، إنما وجد الشيطان يأَمر فيُطاع، واﷲُ يأمر فيُعصى!، فحذارِ يا أمةَ نبي الرحمة محمد (ص)، أن نكون للشيطان عوناً باتخاذنا الدين هزواً ولعباً، وإنّ َ من الدين الصلاة والزكاة والحلال والحرام، وحبّ َ الخير وبغض الشر واجتناب سوء الظن والغيبة والنميمة والجهر بالسوء وترك العفو وإشعال الفتنة وقطع الارحام والتباغض والتخاصم.

وكأنّ َ الحسين (ع) في قيامه يقول لأُمة جده: من أقام الصلاة فإنّه منّي ومن آتى الزكاةَ فإنه منّي ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فإنّه منّي ومن عبد اﷲ مخلصاً له الدين فإنّه منّي ومن جاهد نفسه والشيطان في سبيل اﷲ حتى يأتيه اليقين فإنّه مني وينادي: (يَا أَيّ ُهَا الّ َذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النّ َاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللّ َهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ).

علمتنا عاشوراء أن ليس هناك أفضل من منبر الحسين (ع) لاستنهاض الأمة وشحذ هممها، هذا الإمام الهُمَام الذي جعل من دمهِ المقدّس جسراً للخلود وحبراً من نور غير محدود خطّ به دساتير الكمال وصحف الجمال. ولقد سلك -صلوات اﷲ عليه- أعظم سبيل للتأثير في القلوب والألباب إذ قدّم في كربلائه مواقف وبطولات تهز الضمير الإنساني وتحرك العقول الراكدة فتنقادُ طيعةً وراءَ جاذبية الحق وقوة الإيمان واليقين والتسليم ﷲ.

فمن واجبنا -نحن السائرين بدرب الحسين عليه السلام- أن نقتدي به فنغيّر -بأيدينا وألسنتنا وإلا فبقلوبنا- كل منكر ونأمر بالمعروف امتثالاً لقوله جل وعلا: (وَلْتَكُن مّ ِنكُمْ أُمّ َةٌ يَدْعُونَ

إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

إخوتي وأخواتي في الله اعلموا أنّه في هذا الزمن الصعب وضمن هذه المتغيرات السريعة يستوجب علينا نحن المسلمين الوعي والبصيرة..

والوعي بإدراك مجريات الأمور وما يخطط للأمة الإسلامية من انقسام وضياع وإسلام بلا مسلمين. وعلى الأمة أن تعيّ الخطط الاستكبارية لتقف في وجهها، ولا تقبل كل ما يُملى ويطرح عليها من الخارج في جميع الأصعدة العقائدية والثقافية والاقتصادية والسياسية والإدارية.

فبعد الوعي تتحرك الأمة في خطوتها الأولى في الوقوف في وجه هذه المخططات، وعدم الرضوخ والركون لها وإفشالها، وفي خطوة ثانية بعد التصدي تبدأ عملية التوعية الداخلية والحفاظ على المكتسبات الإسلامية، وفي نفس الوقت، أو في خطوة أخرى تبدأ بالهجوم ولا تكتفي بموضع الدفاع؛ وهنا يأتي دور البصيرة، فالإنسان الذي لا يمتلك البصيرة قد يخطئ الهدف أو يسير في نفع العدو من حيث لا يعلم وإن كانت نيته صادقة لخدمة الدين والمسلمين.

وهاتان المسألتان تستلزمان رصّ صفوف الوحدة والتأكيد عليها، والعمل بها بين المسلمين، هذا من جانب. ومن جانب آخر عدم حسن الظن بالعدو والمستكبرين أبدًا، فهم لن يعملوا شيئًا خلاف مصالحهم، ومصالحهم فقط. فهم لا يقبلون ديننا ليعملوا لأجلنا؛ بل هم أعداؤنا، فلن يعملوا شيئًا فيه مصلحتنا.. لذا، فاستيقظوا!

كما إن الاعتصام بحبل الله هو أهم شروط ديمومة الوحدة وبإمكان هذا الطريق وحده توحيد الناس فضلاً عن ذلك، فإن معيار الأفضلية بين سالكي طريق الحق هو التقوى، لذلك فهم متساوون فيما بينهم؛ يجمعهم هدف واحد وهو التصدي للقوى الظالمة وتحقيق العدالة في العالم، فهم كقطرات الماء التي تتحول إلى سيل جارف قادر على إغراق المفسدين وقض عروش الظالمين. من هنا فإن الوحدة الإسلامية، ووحدتنا الإجتماعية المؤسسة على قاعدة الإخلاص لله وخدمة الناس هي السبيل الوحيد الموصل للنجاح وتحقيق الأهداف ومدعاة لنزول الرحمة الإلهية فيما لو اقترنت بحبل الله. (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً).

ولمزيد من الوعي وكسب البصيرة علينا بتقوية العلاقة باﷲ تعالى أولاً، واستقراء واستنطاق القرآن الكريم الذي يبيّن لنا الصالح من الطالح والصديق من العدو، ولابد من أن نتواصى بالسؤدد ونعود لبناء ذواتنا من الداخل والاعتراف بأن الخطأ الذي سببه انشغالنا عن تعاليم الدين والنأي عن قرآنه وسنته وعترته. (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ).

ختاما، الأمة بحاجة ماسة إلى تكاتف الأيدي، ونبذ الظلم والتوقف عن التحريض ومحاربة بعضنا البعض، وسوق الفتن فيما بيننا. وعلينا الوقوف حصناً منيعاً في وجوه المغرضين والمجرمين والمخرّبين، الآمرين بالمنكر والناهين عن المعروف. كما أننا بحاجة إلى تعديل ما تحمل الخطابات الدينية والثقافية والاجتماعية من صور سوداء، إلى بيضاء ناصعة تحمل بين سطورها كلمات الحب والألفة والمودة والرحمة. بهذا يتم التمهيد لدولة العدل الإلهي ويكون كل واحد منا قد عمل بتكليفه الفردي والاجتماعي على مستوى المجتمع والأمة. فلنلبي نداء الرحمن ولننصر المظلومين بالكلمة الطيبة والأخلاق الحميدة والالتزام بأوامر اﷲ ونهيه والابتعاد عن كل ما يؤدّي إلى البغضاء والشحناء فيما بين المسلمين جميعاً.

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) وصلى اﷲ على محمد وآل الطيبين الطاهرين والحمد ﷲ ربّ العالمين.

للقراءة كاملة هنا